

## ( ١٠ ) خطبة له ﷺ

### في التنفير من الغفلة

عن عليٍّ أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد ، أيها الناس .. كَانَ المَوْتَ فِيهَا عَلَيَّ غَيْرِنَا قَدْ كُتِبَ ، وَكَانَ الْحَقُّ فِيهَا عَلَيَّ غَيْرِنَا قَدْ وَجَبَ ، وَكَانَ الَّذِي نَشِيْعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفْرًا عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نَبُوْنُهُمْ أَجْدَانَهُمْ<sup>(١)</sup> ، وَنَاكُلُ مِنْ ثَرَاتِهِمْ كَانًا مَخْلُدُونَ بَعْدَهُمْ . قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ وَأَمْنَا كُلَّ جَائِحَةٍ<sup>(٢)</sup> . طُوبَى<sup>(٣)</sup> لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنِ عِيُوبِ النَّاسِ . طُوبَى لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَحَسَنَتْ عِلَانِيَتُهُ ، وَاسْتَقَامَتْ طَوِيَّتُهُ . طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ فِي غَيْرِ مَنَقْصَةٍ ، وَانْفَقَ مَالًا جَمَعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْفِئَةِ وَالْحِكْمَةِ ، وَخَالَطَ أَهْلَ الدُّلِّ وَالْمَسْكِنَةِ . طُوبَى لِمَنْ زَكَتْ وَحَسَنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَطَابَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ . طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ<sup>(٤)</sup> مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَوَسَعَتْهُ السَّنَةُ ، وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ . »

(١) جمع جدث ، وهو القبر : أي : نزلهم مقابرهم .

(٢) الجائحة ، أي : الأفة المهلكة . (٣) طوبى : اسم شجرة في الجنة .

(٤) أي : الزائد عن حاجته وحاجة أولاده .

وفى رواية :

«ولم يَعدُّ عنها إلى البِدْعَةِ» .

(أخرجه أبو نعيم، وقد ورد بألفاظ متقاربة)

فى هذه الخطبة العظيمة - كما قرأنا - يذكرنا النبى ﷺ - بأسلوب تقرىعى - بهذه الحقيقة المهمة التى يجب أن لا تغيب أبداً عن أذهاننا، وأن تكون كذلك نُصب أعيننا؛ حتى لا نكون من أهل الغفلة الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم حتى أصبحوا لا يفكرون إلا فى الدنيا ولا يعملون إلا من أجلها: كأن الموت فيها على غيرهم قد كتب، وكأن الحق فيها على غيرهم قد وجب، إلى آخر هذا الوعظ المحمدي الذى يذيب القلوب، ويدمى العيون .

ثم نراه صلوات الله وسلامه عليه يوجههم - ويوجهنا من خلالهم - بعد ذلك توجيهاً مباشراً إلى الخلال الحميدة التى إن تخلقوا بها كانوا فعلاً من المؤمنين حقاً، لأن الإيمان - كما جاء فى نص حديث شريف - لا يكمل إلا بحسن الخلق الذى جمعه النبى صلوات الله وسلامه عليه فى تلك المواعظ الجامعة المرغبة فى الخير، والمرهبة من الشر .

ثم يختم النبى ﷺ خطبته بقوله: « طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله »: وهذا معناه أن النبى ﷺ: يريد - من كل مؤمن ومؤمنة - أن ينفق الزائد من ماله، ويمسك الزائد من قوله، وذلك حتى يكون هناك الأمن والأمان فى الدنيا والآخرة؛ لأن إنفاق

الزائد من المال الحلال معناه التراحم والتعاطف بينه وبين إخوانه المحتاجين ، ولأن إمساك الزائد من القول معناه المحافظة على مشاعر الآخرين : وهذا هو الإيمان الخالص ، والسلامة الكاملة فى الدنيا والآخرة .

كما يختم الرسول ﷺ أيضاً خطبته بقوله : «ووسعته السنّة ولم تستهوه البدعة» : وهذه إشارة أخرى لابد وأن نلتفت إليها بقلوبنا ، بل لابد وأن نكون من الحرصين على تنفيذها حتى لا نضل أو نزل ، ففى الحديث الشريف : « تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله وسنتي » . وفى الحديث : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة»<sup>(١)</sup> . وفى الحديث : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيت»<sup>(٢)</sup> . ولهذا فقد قال الأئمة الأعلام : « من استحسَنَ بدعةً فقد زعمَ أن محمداً خانَ الرسالة » .

فكن أخا الإسلام من المتمسكين بالسنة ، واحذر أن تستهويك البدعة :

(١) من حديث رواه أحمد، وأبو داود ، وابن ماجه ، والحاكم وصححه ، والبيهقى ، والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود .

اعْمَلْ بِأَنْبَارِ النَّبِيِّ      فَبِإِنَّهَا النُّورُ الْمُبِينُ  
وَأَقْبِلْ نَصِيحَتَهَا      فَفِيهَا الْعِزُّ وَالشَّرَفُ الْمَكِينُ  
وَاشْدُدْ يَمِينَكَ بِالشَّرِيعَةِ      إِنَّهَا السَّبَبُ الْمَتِينُ

وحسبك أنك بعد كل هذا - أو مع كل هذا - ستكون قد أكّدت حبك  
للرسول ﷺ ، فقد ورد في الحديث الشريف :

« مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي ، وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ »<sup>(١)</sup> .

\* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

« كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى » . قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنْ

أَبَى ؟ . قَالَ : « مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى » .

(رواه البخارى)

\* \* \*

---

(١) الحديث رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .